ܒܫܡ ܐܝܬܝܐ ܡܬܘܡܝܐ ܐܠܝܨ ܐܝܬܘܬܐ ܕܟܠ ܐܚܝܕ:
ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܟܘܪܣܝܐ ܫܠܝܚܝܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܟܠܗ ܡܕܢܚܐ
ܘܪܝܫܐ ܓܘܢܝܐ ܕܥܕܬܐ ܣܘܪܝܝܬܐ ܐܪܬܕܘܟܣܝܬܐ ܕܒܟܠܗ ܬܒܝܠ
ܕܗܘ ܐܦ ܡܫܡܫܢܐ ܕܟܢܫܐ ܠܘܬܗ ܐܝܟ ܩ

نهدي البركة الرسولية والأدعية الخيريّة إلى إخوتنا الأحبار الأجلاء: صاحب الغبطة مار باسيليوس توماس الأول مفريان الهند، وأصحاب النيافة المطارنـــة الجزيــل وقـــارهم، وحضرات أبنائنا الروحيين الخوارنـــة والكهنـــة والرهبـــان والراهبـــات والشمامـــسة والشماسات، ولفيف أفراد شعبنا السرياني الأرثوذكسي في العـــالم أجمـــع المكـــرّمين، شملتهم العناية الربانية بشفاعة السيدة العذراء مريم ومار بطرس هامة الرسل وســـائر الشهداء والقديسين آمين.

الوداعة والتواضع

قال الرب يسوع: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكـــم، احملـــوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لنفوسكم، لأن نيري هـــيّن وحملي خفيف» (مت 11: 28ــ 30)

أيها المؤمنون: إن التواضع والوداعة، فضيلتان سماويتان ساميتان، تكمّل إحداهما الأخرى، ففي تواضعنا نعظم اللـــه معترفين بفضله الجم علينا، فهو خالقنا والمعتنـــي بنـــا، وعلينـــا أن نواظب على تقديم الشكر له تعالى، معترفين بضعفنا وبافتقارنا إلى رحمته، واثقين بيقين أن كل ما نملكه من مواهب سماوية وأرضية، وما نتمتع به في الحياة من نِعم، إنما هو هبة مجانية منه تقدس اسمه، فلا يحق لنا إذن أن نتباهى ونتعجرف، بل علينا أن نعترف بفضل اللـــه، متجنبين الكبرياء التي تبعدنا عن اللـــه، وتصم آذاننا عن سماع كلامه الحي، وتسوقنا إلى عبادة الـــذات

والالحاد، وعلينا أن نجعل التواضع يملأ عقلنا وقلبنا بنور المسيح ويؤجج فيهما جذوة الإيمان باللـه، والاتكال عليه، والتسليم بالحقائق الإيمانية التي أوحاها إلينا تعالى بكتابه المقدس الذي هو كلمة اللـه الحية وبذلك نمجّد اسمه القدوس مع صاحب المزامير القائل: «ليس لنا يا رب ليس لنا لكن لاسمك أعط مجداً» (مز115: 1).

ففضيلة التواضع إذن هي أساس جميع الفضائل المسيحية ومنتهاها، أما الوداعة فهي ثمرتها الناضجة، ورفيقتها في الجهاد الروحي، الملازمة لها دائماً. فعندما ترسخ فضيلة التواضع في قلب الإنسان وعقله، وتغدو ملكة، أي صفة راسخة في نفسه، إذ يلمسها الناس بكل تصرفاته، حيث يمتلك ذلك الإنسان ناصية الوداعة، ويؤتى الشجاعة الروحية الكافية لمقارعة إبليس اللعين والتغلب على التجارب الصعبة ويهبه اللـه القوة الكافية لضبط النفس، وكسر حدة الغضب، وضبط الفكر العدواني والحد من نزواته، مبتعداً عن الحقد والضغينة والبغضاء، متمثلاً بوصايا الرب القائل: «لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً» (مت5: 39 و40) و«أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، احسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيؤن إليكم ويطردونكم »(مت5: 44) بهذا فقط تصير الوداعة طبيعة لنا فنعامل الناس باللطف والمحبة، ونكون قد تشبهنا بالمسيح ربنا الذي أمرنا أن نتعلم منه لأنه وديع ومتواضع القلب، فقد بدت هاتان الفضيلتان واضحتين في كل تصرفاته له المجد خلال تدبيره الإلهي في الجسد، حيث أحب الأطفال فاستأنسوا إليه وأحبوه، وعطف على النساء، وأشفق على الخطاة ومهّد لهم الطريق للعودة إلى اللـه بالتوبة الصادقة، كما سامح أعداءه ومبغضيه، وهكذا علّمنا هاتين الفضيلتين بالمثال والأقوال والأمثال، فإذا تشبهنا به، واقتفينا أثره، نجد سلاماً مع اللـه بالتسليم التام للارادة الربانية في السراء والضراء، كما نجد سلاماً مع أنفسنا فننال راحة الضمير بمحبتنا للـه الذي أحبنا، واطاعة أوامره وتجنب نواهيه، والقيام بالفروض البيعية، وأن نكون بسلام مع القريب محبين إياه مقابلين اساءاته بالمغفرة، مصلين لأجله، كوصية الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس «أن يكون ذا رفق نحو الجميع صبوراً مؤدباً بالوداعة المخالفين عسى أن يعطيهم اللـه توبةً لمعرفة الحق» (2تي2: 25).

بوداعته وتواضعه صحح الرب يسوع مفهوم العالم حول الفضائل السماوية والقيم السامية، فإذا عُدت الوادعة قبل ميلاد الرب يسوع بالجسد ضعفاً، فهي في المسيحية قوة روحية فائقة، وإذا اعتبر التواضع في الماضي ضعةً فهو في المسيحية سمو وترفع عن الرذائل، ونصرٌ مبين على إبليس اللعين وأتباعه المتعجرفين، وإدانة لكبريائهم التي هوت بهم إلى درك المعصية

فصاروا أعداء للـــه والبشر، كما ورطت الكبرياء الإنسان أيضاً فتمرّغ في خطية التمرد علـــى الخالق واستحق الموت عقاباً. لذلك، ولكي ينقذ الرب يسوع الإنسان من المعصية ويعيـــد إليـــه الحياة، عالجه بالتواضع وأمره بالتحلي بفضيلة الوداعة قائلاً لتلاميذه: «ها أنا أرســـلكم كغـــنم وسط ذئاب، فكونوا حكماء كالحيات، وبسطاء كالحمام» (مت10: 16).

أجل، وعى تلاميذ الرب عظمة معلمهم الإلهي، وعرفوا قدر أنفسهم الضعيفة وتأكدوا مـــن افتقارهم إلى الرب دائماً، ولا غرو فقد أوضح الرب لهم هذه الحقيقة بقوله: «اثبتوا فـــيَّ وأنـــا فيكم، كما أنّ الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إنْ لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيـــضاً إن لم تثبتوا فيَّ، أنا الكرمة وأنتم الأغصان، الذي يثبت فيَّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثيـــر، لأنكـــم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو15: 4 و5).

أيها الأحباء، في هذا الزمن العصيب تجتاز كنيستنا المقدسة مرحلة قاسية تشكل منعطفاً حاداً وخطراً، في تاريخها الحديث. فالهجرة العشوائية تحاول تبديد أبنائها في متاهات دروب العـــالم، مبعدة إياهم عن جذورهم التاريخية، وينابيع القيم الروحية التي ورثوها عن آبائهم الميامين. كما أن أعداء الحق يتربصونهم ليصطادوهم في شباكهم وقد نصبوا لهم الأشراك الخبيثة، في الوطن والمهجر، فهناك أصحاب البدع القديمة الوخيمة، وهناك الفرق المستحدثة التي تدّعي المـــسيحية والمسيحية براء منها، وقد جاء أتباعها ذئاباً خاطفة بثياب حملان تريد الفتك بقطيـــع المـــسيح، وهناك الكبرياء أم الرذائل التي ساورت عقول بعض العلمانيين فجاءوا بـــآراء فائلـــة باطلـــة، محاولين الهيمنة على الكنيسة، والعبث بنظمها الإدارية التي هي وضـــع إلهـــي لا بـــشري لأن الكنيسة هي مؤسسة روحية وهي جسد المسيح السري، والمسيح رأسها وقد أقام رسله الأطهـــار لخدمة أبنائها وأعطاهم السلطان على ذلك فهم المسؤولون عن إدارتها وتدبير شؤونها والعنايـــة بأعضائها وهم ممثلوها الشرعيون وحماة عقيدتها الدينية واسمها وتراثهـــا ولغتهـــا وتقاليـــدها وحضارتها، ومعالمها، وصفاتها وسماتها التي منحتها إياها السماء وثبتها التاريخ عبر الـــدهور والأجيال، والمسيح في داخلها فلن تتزعزع، وقد وعدها بقوله «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت16: 18)، «وسيندحر من يشهر سيفاً في وجهها»، لأن سلطانها ســـماوي، فعلينـــا بـــروح الوداعة والتواضع أن نقدم النصح والارشاد لهؤلاء الضالين فإذا عادوا إلـــى طاعـــة الكنيـــسة فستفرح السماء بخاطئ واحد يتوب، ونرحب به في الكنيسة، وإذا أصروا على محاربة الكنيـــسة وبثِّ الفتن في صفوفها لتفريق أبنائها، وأصموا آذانهم عن سماع صوت الرعاة الحقيقيين، فعلينا أن نمارس صلاحياتنا الروحية للدفاع عن العقيدة السمحة والتقليد الشريف، وتأديب المتمـــردين

على النظم البيعية، مكملين ما أوصانا به الرسول بولس في حال كهذه قائلاً: «فاعزلوا الخبيث من بينكم» (1كو5: 13).

أيها الأحباء:

إن حلول موعد الصوم الأربعيني المقدس يُعد فرصة ذهبية سانحة لنا لنجاهد روحياً ونقتدي بالرب يسوع بتواضعه ووداعته، ونمارس الفضائل السامية ونقرن إيماننا بالأعمال الصالحة وبخاصة أعمال الرحمة كتوزيع الصدقات ومساعدة الفقراء ورعاية الأيتام والأرامل إلى جانب محبتنا لكنيستنا السريانية الأرثوذكسية المقدسة ونظمها الادارية ولغتها السريانية وطقوسها البيعية وتعاليم آبائها القديسين.

تقبل اللّه صومكم وصلواتكم وأهلّكم لتحتفلوا بعيد قيامته من بين الأموات ببهجة وسرور والنعمة معكم ...

صدر عن قلايتنا البطريركية في دمشق ــ سوريا
في العشرين من شهر كانون الثاني عام ألفين وسبعة للميلاد
وهي السنة السابعة والعشرون لبطريركيتنا